

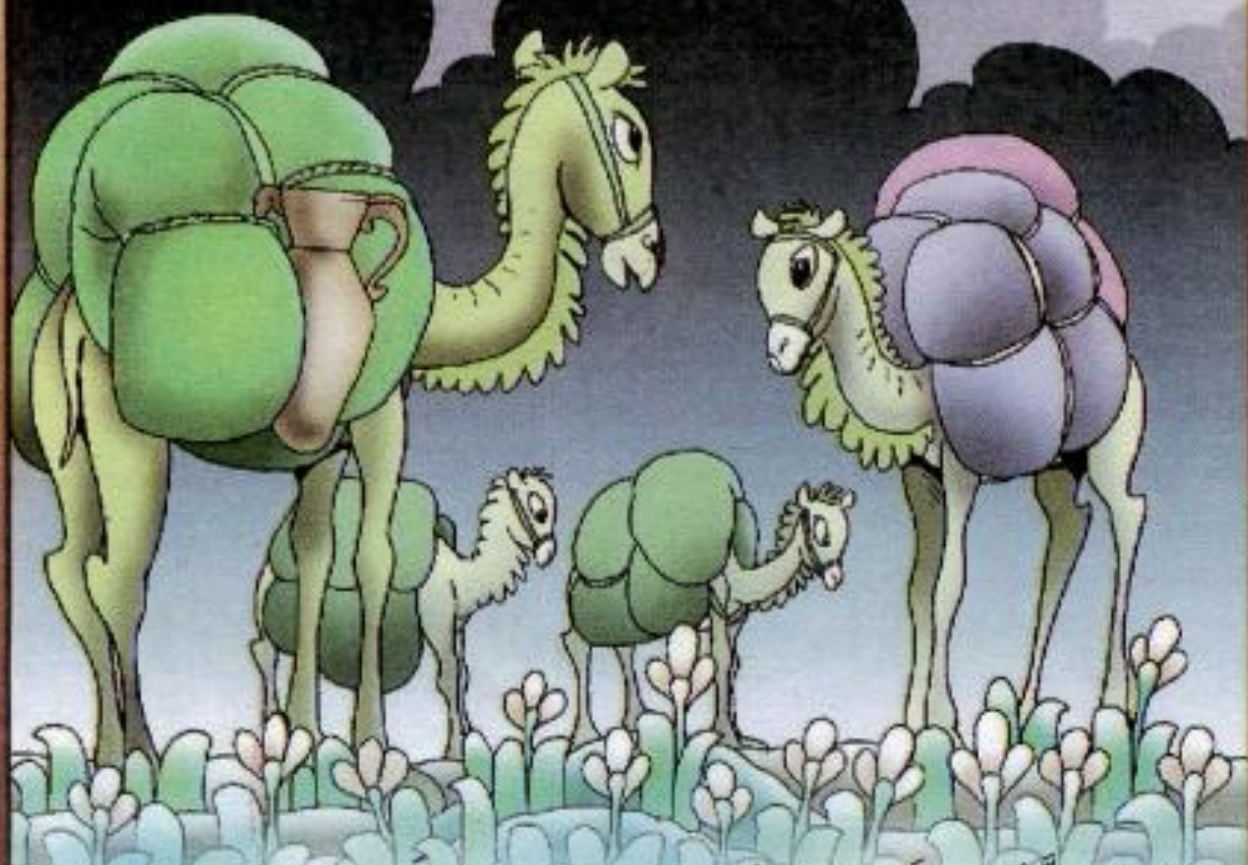
15

الاسماء

إسماعيل عليه السلام

الاسماء

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى



رَزَقَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِأَوَّلِ ابْنٍ مِنْ أَبْنَائِهِ ،
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ زَوْجَتِهِ هَاجِرَ ..

ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ هَاجِرَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَيَذْهَبَ
بِهِمَا إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، لِيُقِيمَا هُنَاكَ ..

فَأَخَذَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَتَرَكَهُمَا فِي صَحْرَاءِ مَكَّةَ ،
بِجَوَارِ أَسَاسِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الْقَدِيمِ ، حَيْثُ لَا زَرْعَ
وَلَا مَاءَ ، وَلَا أَنْيْسَ مِنَ الْبَشَرِ ..

وَتَرَكَ لَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ ، وَجَرَّةٌ فِيهَا مَاءٌ ،

وَهُمَّ بِالرَّحِيلِ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّيِّدَةُ هَاجِرٌ وَقَالَتْ :

- يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي ، الَّذِي

لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ !

فَتَرَكَهَا إِبْرَاهِيمُ وَوَاصَلَ سَيْرَهُ دُونَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا ، فَأَخَذَتْ

هَاجِرٌ تُكَرِّرُ سُؤَالَهَا ، وَإِبْرَاهِيمُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ..

وَفِي النِّهَايَةِ سَأَلَتْهُ هَاجِرٌ ، قَائِلَةً :

- هَلِ اللَّهُ أَمَرَكَ بِذَلِكَ ؟ !

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام :

- نَعَمْ ..

فَقَالَتْ هَاجِرٌ رَاضِيَةً بِقَضَاءِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِهِ :

- إِذْنٌ لَا يُضَيِّعُنَا اللَّهُ أَبَدًا ..

وَرَجَعَتْ هَاجِرٌ إِلَى وَلِيدِهَا تُرْضِعُهُ ..

أَمَّا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فَقَدْ انْطَلَقَ ، حَتَّى إِذَا صَارَ عِنْدَ

رَبْوَةٍ تَوَارِيهِ عَنْهُمَا ، نَظَرَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ أَسَاسُ

الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ دَاعِيًا رَبَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ

تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَخَذَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرُ تَرْضَعُ وَلَدَهَا ، وَتَشْرَبُ مِنْ

ذَلِكَ الْمَاءِ ، الَّذِي تَرَكَهُ لَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حَتَّى نَفِدَ

الْمَاءُ ، فَشَعَرَتْ بِالْعَطَشِ ، وَشَعَرَ إِسْمَاعِيلُ بِالْعَطَشِ ،

فَأَخَذَ يَتَلَوَّى ، وَانْطَلَقَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرُ بَاحِثَةً عَنْ

الْمَاءِ ، فَرَأَتْ جَبَلَ الصِّفَا قَرِيبًا مِنْهَا ، فَصَعَدَتْ فَوْقَهُ ،

وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ ، عَلَّهَا تَرَى أَحَدًا قَرِيبًا مِنْهَا ، لِتَطْلُبَ مِنْهُ

الْمَاءَ ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، وَلَمْ تَجِدْ أَثَرًا لِلْمَاءِ ..

فَنَزَلَتْ مِنَ الصِّفَا ، وَسَعَتْ مُهْرُولَةً تَقْطَعُ الْوَادِي ،

حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَبَلِ الْمَرْوَةِ ، فَصَعَدَتْ عَلَيْهِ ،

وَنَظَرَتْ ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، وَلَمْ تَرَ أَثَرًا لِلْمَاءِ ..

فَنَزَلْتُ مِنَ الْمَرْوَةِ ، وَهَرَوَلْتُ إِلَى الصَّفَا مَرَّةً ثَانِيَةً ، ثُمَّ
عَادْتُ إِلَى الْمَرْوَةِ ، وَهَكَذَا حَتَّى قَطَعْتُ سَبْعَةَ
أَشْوَاطٍ ..

وَعِنْدَمَا عَادْتُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَجَدْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ
عِنْدَهُ مِنْ بئرٍ زَمْزَمَ ..



وَيُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ - تعالى - قَدْ أَرْسَلَ مَلَكًا ،
فَضْرَبَ الْأَرْضَ بِجَنَاحِهِ ، فَتَفَجَّرَ الْمَاءُ .. فَأَخَذَتْ
هَاجِرٌ تَغْرِيفُ الْمَاءِ فِي جَرَّتِهَا ، وَالْمَاءُ يَنْدَفِعُ
كَالْنَّافُورَةِ ..

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكْتُ زَمْزَمَ ، أَوْ لَوْ لَمْ
تَغْرِفِ الْمَاءَ ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»
أَيُّ لَا سَتَمَرَّ الْمَاءُ يَتَدَفَّقُ مِنْهَا كَالْنَّافُورَةِ حَتَّى الْيَوْمِ ..
وَيُقَالُ إِنَّ الْمَلِكَ ، قَالَ لَهَا جَر :

- لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ ، الَّذِي
يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ .. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُضِيعُ
أَهْلَهُ ..

وَهَكَذَا عَاشَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرٌ مَعَ طِفْلِهَا إِسْمَاعِيلَ بِجَوَارِ
مَاءِ زَمْزَمَ ، حَتَّى مَرَّتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ قَبِيلَةُ عَرَبِيَّةٍ هِيَ قَبِيلَةُ
جُرْهُمَ ، وَرَأَى أَهْلُهَا الطُّيُورَ تَحُطُّ عَلَى الْمَاءِ ..

وَأَيَّقَنْتُ جُرْهُمُ أَنَّ الْمَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ

مَاءٌ ، وَلِهَذَا ذَهَبُوا إِلَى هَاجَرَ وَقَالُوا لَهَا :

— أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ ، فَتُوَانِسَكِ ، وَالْمَاءُ

مَاؤُكَ ؟ !

فَوَافَقَتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرَ ، فَأَقَامَ مَعَهَا أَهْلُ جُرْهُمَ ..

وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ ، جَاءَتْ قَبَائِلُ أُخْرَى ، وَأَقَامَتْ بِمَكَّةَ

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..

وَتَحَقَّقَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَعَمَرَتْ مَكَّةَ ، بِالْقَبَائِلِ

الْعَرَبِيَّةِ ، وَرَزَقَ اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ..

وَكَبِرَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ الْعَرَبِ ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ اللُّغَةَ

الْعَرَبِيَّةَ .. وَرَوَّضَ إِسْمَاعِيلُ الْخَيْلَ وَاسْتَأْنَسَهَا .. فَلَمَّا

بَلَغَ سِنَ الزَّوْاجِ ، تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قَبِيلَةِ جُرْهُمَ ..

وَتُوَفِّيتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرَ ..

وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام دَائِمَ الزِّيَارَةِ لِابْنِهِ

وزَوْجَتَهُ هَاجَرَ .. وَقَدْ زَارَهُ مِنْ قَبْلُ عِنْدَمَا رَأَى
الرُّؤْيَا ، وَهُوَ يَذْبَحُ ابْنَهُ فِيهَا ، وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ طَاعَةِ
إِسْمَاعِيلَ لِأَمْرِ أَبِيهِ ، وَامْتِثَالِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ .. وَكَانَ مَا كَانَ
مِنْ افْتِدَاءِ اللَّهِ لِإِسْمَاعِيلَ عليه السلام وَهُوَ مَا قَدَّمَ مِنْهُ فِي قِصَّةِ
نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ..

وَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ زَارَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مَكَّةَ الْمُكْرَّمَةَ ،
وَتَوَجَّهَ لِبَيْتِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَمْ يَكُنْ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ فِي
الْبَيْتِ ، فَسَأَلَ إِبْرَاهِيمُ زَوْجَةَ إِسْمَاعِيلَ :

- أَيْنَ زَوْجُكَ ؟ !

فَقَالَتْ زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ :

- لَيْسَ هَا هُنَا .. ذَهَبَ لِيَصْطَادَ ..

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيَصْطَادُ ثُمَّ
يَرْجِعُ ..

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام :

- هَلْ عِنْدَكَ ضِيافَةٌ ؟ هَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ؟

فَقَالَتْ زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ :

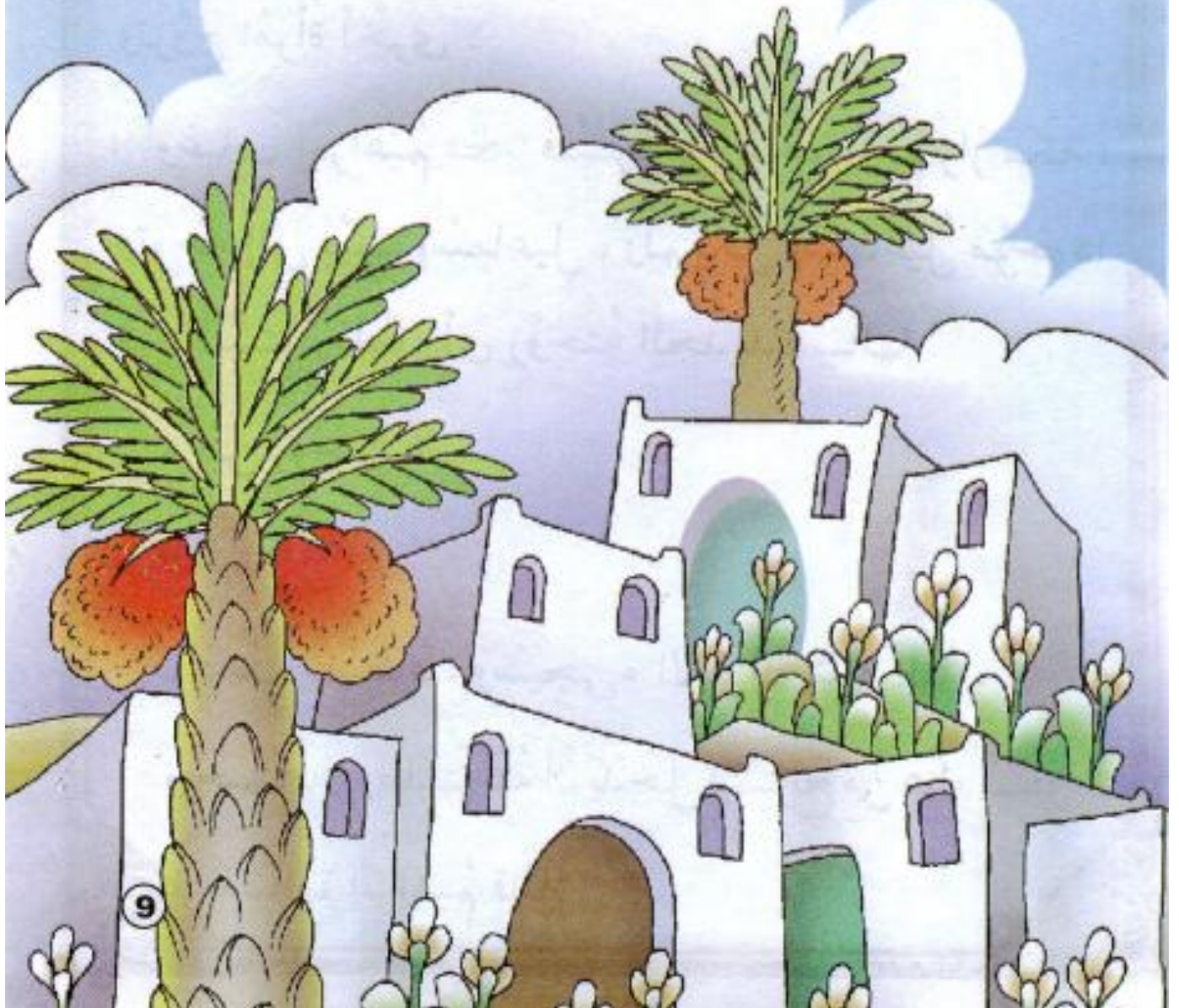
- لَيْسَ عِنْدَنَا طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ .. نَحْنُ فِي ضَيْقٍ ،

وَرِزْقُنَا قَلِيلٌ ..

لَمْ تَحْمَدِ زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَرْضَ

أَنْ تُضَيِّفَ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ .. وَلَمْ يَرْضَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَدَمِ

قَنَاعَتِهَا ..



فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام :

- إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِيهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ ، فَلْيُغَيِّرْ
عَتَبَةَ بَابِهِ ..

فَلَمَّا حَضَرَ إِسْمَاعِيلُ وَقَصَّتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ ، مَا قَالَهُ
لَهَا الشَّيْخُ ، وَوَصَفَتْ لَهُ هَيْئَتَهُ ، عَرَفَ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ أَبَاهُ
قَدْ زَارَهُ ، وَأَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ زَوَاجِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ ، فَطَلَّقَهَا
وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً أُخْرَى ..

وَغَابَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فَتُرَةً مِنَ الزَّمَنِ ، ثُمَّ زَارَ مَكَّةَ ،
وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَمْ يَكُنْ إِسْمَاعِيلُ مَوْجُودًا
فِي الْبَيْتِ ، فَلَمَّا رَأَى زَوْجَتَهُ الْجَدِيدَةَ سَأَلَهَا :

- أَيْنَ زَوْجُكَ ؟

فَقَالَتْ :

- ذَهَبَ يَصْطَادُ ، وَسَيَجِيءُ الْآنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ..

وَرَحِبَتْ بِهِ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ ..

فَسَأَلَهَا إِبْرَاهِيمُ قَائِلًا :

– هَلْ عِنْدَكَ ضِيَاةٌ ؟

فَقَالَتْ :

– نَعَمْ .. نَحْنُ بِخَيْرٍ وَفِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ..

فَسَأَلَهَا :

– هَلْ عِنْدَكَ خُبْزٌ أَوْ قَمْحٌ أَوْ شَعِيرٌ أَوْ تَمْرٌ ؟

فَجَاءَتْهُ بِاللَّحْمِ وَاللَّبَنِ .. فَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَاتِ فِي
الطَّعَامِ ..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«فَلَوْ جَاءَتْ يَوْمَئِذٍ بِخُبْزٍ أَوْ بُرٍّ (قمح) أَوْ شَعِيرٍ ،
لَكَانَتْ أَكْثَرَ أَرْضِ اللَّهِ بُرًّا وَشَعِيرًا وَتَمْرًا» يَقْصِدُ
لَكَانَتْ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ وَالْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَغْنَى الْبِلَادِ
بِهَذِهِ الْأَصْنَافِ ..

فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

– إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ : قَدْ

اسْتَقَامَتْ عَتَبَةُ بَابِكَ ..

فلما جاء إسماعيلُ ، سألَ زوجتهُ :

- هل زارنا أحدٌ ؟

فقالتُ لهُ :

- نعم .. زارنا شيخٌ هو أحسنُ الناسِ وجهًا ، وأطيبُهم ريحًا .. وقصّتُ عليه ما قاله لها أبوه ، وما قالتُ لهُ ، وكيفَ أنّه دعا لها بالبركةِ في الطَّعامِ .. ثم قالتُ لهُ :

- وقال لي : إذا جاء زوجك ، فأقرئيه السَّلامَ ، وقولي لهُ : قد استقامتُ عتبةُ بابك ..

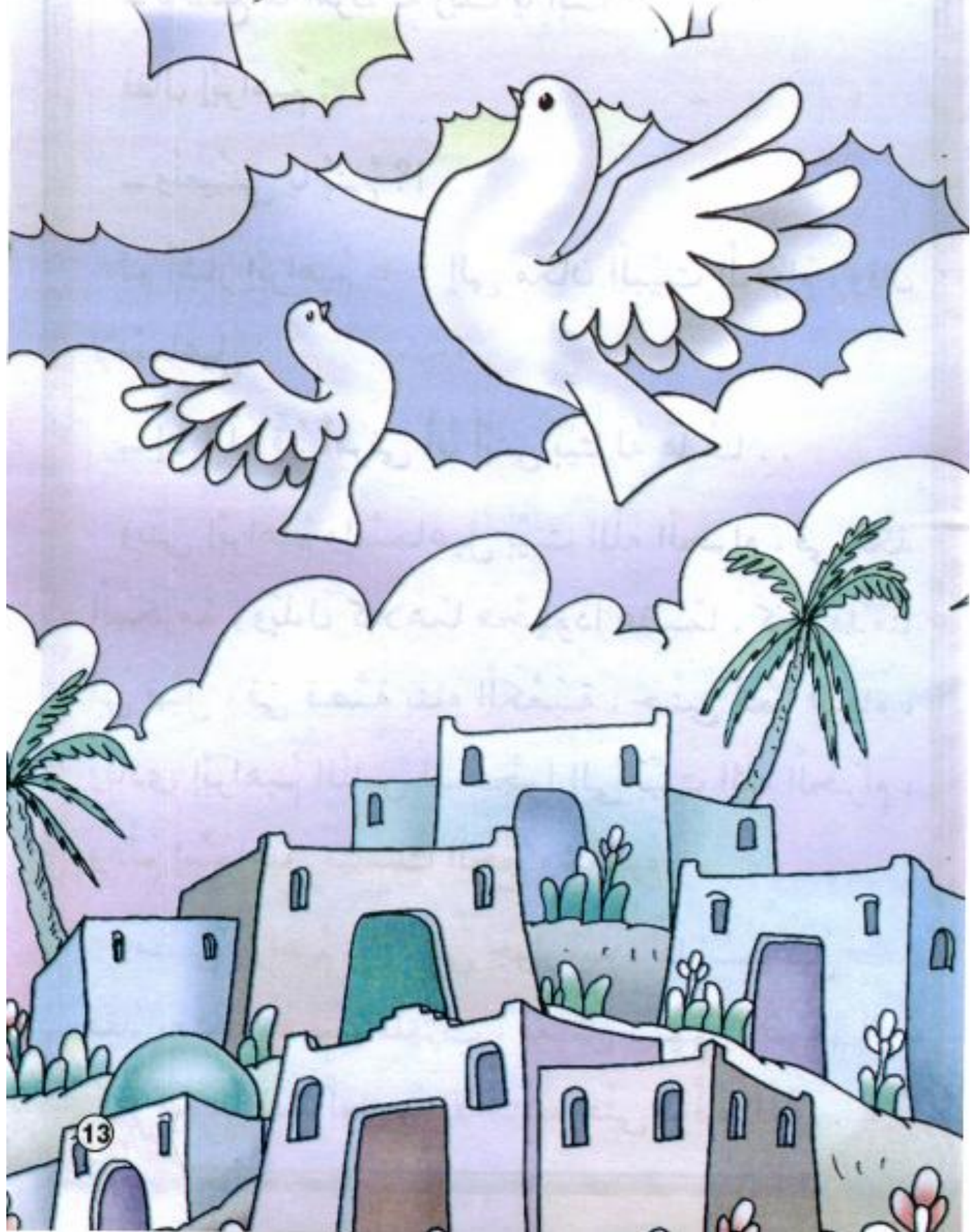
فعرَفَ أنَّ أباهُ قد زارهُ ، وأنَّه راضٍ الآنَ عن زواجهِ من هذه المرأةِ ..

وغابَ إبراهيمُ عليه السلام ما غابَ عن ولده ، حتَّى أمره اللهُ تعالى ببناءِ البَيْتِ الحرامِ ، فجاءَ إلى مَكَّةَ المُكرَّمةِ .. وكانَ إسماعيلُ جالسًا بجوارِ بشرِ زمزمَ يَبْرِى نَبلاً .. فلما رآه إسماعيلُ نهضَ وعانقه مُرحَّبًا

به ..

فَلَمَّا أَنْتَهَىٰ إِبْرَاهِيمُ ^{عليه السلام} مِنْ عِنَاقِ وَلَدِهِ ، قَالَ لَهُ :

— يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ..



فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :

- فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ يَا أَبَتِ ..

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

- وَتُعِينُنِي يَا بُنَيَّ ؟!

ثُمَّ أَشَارَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَقَالَ
لِإِسْمَاعِيلِ :

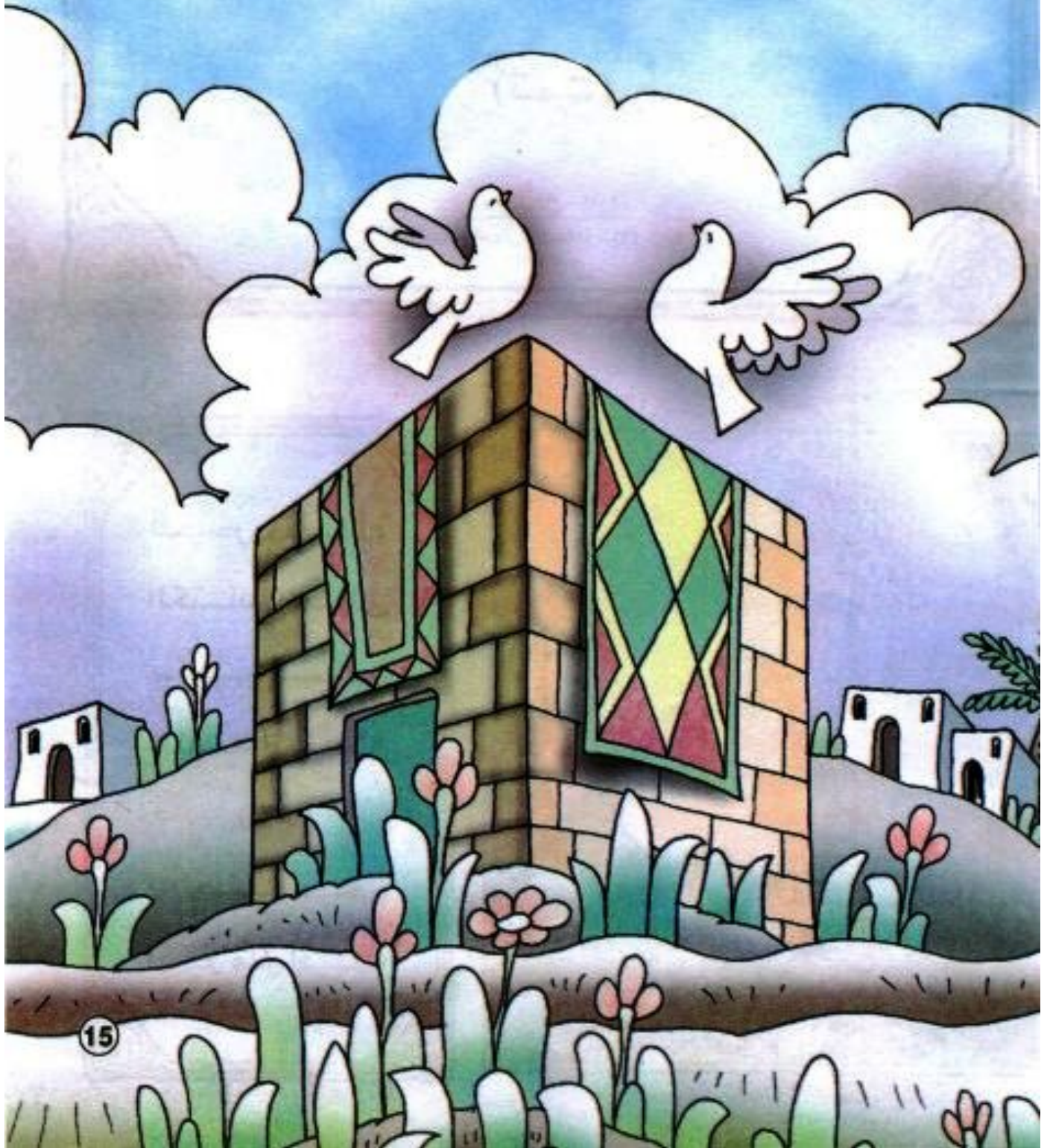
- إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لَهُ هَاهُنَا ..

وَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فِي مَكَّةَ
الْمُكَرَّمَةِ ، وَبَذَلَ كِلَاهُمَا مَجْهُودًا عَظِيمًا ، كَمَا قَدَّمْنَا
مِنْ قَبْلُ ، فِي قِصَّةِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، حَتَّى أَتَمَّ الْبِنَاءَ ،
وَنَادَى إِبْرَاهِيمُ النَّاسَ لِيَحْجُّوا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،
وَعَلَّمَ إِسْمَاعِيلَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَشَعَائِرَهُ ..

وَمَضَى إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ ، أَمَّا إِسْمَاعِيلُ عليه السلام
فَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا لِلْعَرَبِ ، فَعَاشَ بَيْنَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ..

وَإِسْمَاعِيلُ عليه السلام هُوَ أَبُو الْعَرَبِ ، الَّذِينَ جَاءَ مِنْهُمْ فِيمَا
بَعْدُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ..

قَالَ تَعَالَى مَا دِحَّا نَبِيَّهُ إِسْمَاعِيلُ :



﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع: ٢١٦٢

الترقيم الدولي: ٢٠ - ٢٨٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧



قصص الأنبياء
الكتاب التالي
يوسف
عليه السلام
(١)

(الحلم)
أحرص على اقتنائه